القوى الناعمة في المسيرة السياسية للإمام الباقر عليه السلام النظرية والتطبيق

الأستاذ المساعد الدكتور
خليل إبراهيم الأعسم
جامعة المثنى ـ كلية الآداب
abbas7mohammed@gmail.com

المقدمة:

إن التخطيط الرباني يحتم على الرسول صلى الله عليه وآله اعداد صفوه من أهل بيت والتصريح بأسمائهم وأدوارهم لتسلم مقاليد الحركة النبوية العظيمة والهداية الربانية الخالدة بأمر من الله سبحانه وصيانة الرسالة الالهية التي كتب الله لها الخلود من تحريف الجاهلين وليد الخائنين، وتربية للأجيال على قيم ومفاهيم الشريعة المباركة التي آخذوا على عاتقهم تبيان معالمها وكشف اسرارها وذخائرها على مر العصور وتدبرت الارض ومن عليها وتجلى هذا التخطيط الرباني في ما نهى عليه الرسول بقوله ((إني تارك فيكم الثقلين ما ان تمسكتم بهما لن تضلوا، كتاب الله وعترتي، وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض)). وكان ائمة أهل البيت صلوات الله عليهم خير من عرفهم النبي الاكرم بأمر من الله تعالى لقيادة الامة، ومن هنا جاءت مسيرة الاحكام الباقر خامس الائمة ليكمل مسير اجداده واباءه في هواية الامة واعادة مسيرتها وتصويب اخطاءها عن طريق الوسائل السليمة وهو ما يسمى اليوم بابتهال القوى الناعمة الوسائل الدبلوماسية وسيلقِ البحث الضوء على الوسائل الثقافة التي استخدمها الامام الباقر لإعادة الامة لقادتها الحقيقيين بعيدا عن الوسائل العسكرية التي استخدمها حكام الجور من الامويين من مسيرته في الاصلاح السياسي فلقد استخدم نموذجاً للتخطيط السياسي يمكن أن تستفيد منه لسيناريو للعمل به كمنهج ودليل يستوفى من تراث أهل البيت عليهم السلام.

فرضية البحث:

إن الامام الباقر أسس لسيناريو سياسي لإصلاح الامة عن طريق استخدامه القوى الناعمة مبتعداً عن القوى الصلبة.

مشكلة البحث:

إن البحث ينصب على دور الاحكام الباقر عليه السلام العباسي في اصلاح الامة مما أصابها من فساد بسبب حكام الجور.

منهجية البحث:

اعتمد الباحث على منهج البحث التاريخي ممزوجا بأساليب البحث في اطار الفكر الستراتيجي محاولا القاء الضوء على الجهود المبذولة في مدرسة الامام الباقر على مستوى الفكر والتطبيق لمعالجة ازمة الامة السياسية.

السمات السياسية لفترة إمامة الباقر عليه السلام:

١- في الفترة الواقعة بين سنة (٩٥هـ -٩٧هـ) وفي بداية تصديّ الامام محمد الباقر عليه السلام للإمامة كان الحاكم الاموي: الوليد بن عبد الملك قد بدأ باتخاذ بعض الأساليب لامتصاص النقمة الشعبية التي خلقتها السياسة الإرهابية التي انتهجها الحجّاج بن يوسف وبعض الولاة الآخرين[١].

٢- تصدّعت الجبهة الداخلية للبيت الأُموي المرواني، ودبّ الخلاف بين الوليد وأخيه سليمان، حيث أراد الوليد خلعه ومبايعة ابنه عبد العزيز، فأبى عليه سليمان، ولم يجبه للبيعة جميع الولاة باستثناء الحجّاج وقتيبة بن مسلم وبعض الخواصّ من الناس، فعزم الوليد على السير إليه ليخلعه بالقوّة فمات قبل ذلك[٢].

٣- وفي بداية حكومة سليمان بن عبد الملك انشغل سليمان بمتابعة ولاة الوليد وعزلهم عن مناصبهم[٣] وحاول اصلاح بعض الأوضاع المتردّية تقرباً إلى الناس، فأطلق المعتقلين وفكّ الاسرى[٤].

٤- كانت الدولة محاطة بجملة من المخاطر من الداخل والخارج[٥]. فأنشغل الحكام والولاة عن ملاحقة أو محاصرة الامام الباقر عليه السلام خوفاً من قاعدته الشعبية العريضة والمتنامية فتصدى عليه السلام للإمامة وقام بأداء دوره الإصلاحي والتغييري في أوساط الأُمة الإسلامية، بعيداً عن المواجهة العسكرية السياسية العلنية للنظام القائم.

٥- الانحراف الفكري والعقائدي.

ازداد الانحراف في عهود الملوك المتعاقبين على الحكم، وكان للأفكار والعقائد نصيبها الأكبر من هذا الانحراف، ولم يكترث الحكام بهذا الانحراف بل شجعوا عليه؛ لأنه كان يخدم مصالح الحكم القائم، ويشغل المسلمين عن همومهم الأساسية وبخاصة التفكير في مجال تغيير الأوضاع واعادتها إلى ما كانت عليه في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وعهد امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام.

فكثرت في عهد الامويين الانحرافات الفكرية والعقائدية وتعدّدت وتعاظمت، واصبح لها اتباع وانصار، وتحولت إلى تيارات وكيانات خالف الكثير منها الأُسس الواضحة للعقيدة الإسلامية، وابتدعوا ما لا يجوز من الأمور المخالفة للقرآن الكريم وللسنة النبوية، فانتشرت أفكار الجبر والتفويض والارجاء، كما انتشرت أفكار التجسيم وتشبيه الله تعالى بخلقه، وكثرت الشبهات حول ثوابت العقيدة، وكثر الحديث حول ماهية الله تعالى وذاته، وتنوّعت تيّارات الغلوّ، حتى زعم البعض حلول الذات الإلهية في قوم من الصالحين، وقالوا بالتناسخ، وانتشرت الزندقة، فجحدوا البعث والنشور، واسقطوا الثواب والعقاب وزُوِّدت الاحاديث والروايات واختُلِق كثير منها؛ لدعم التسلط الأُموي، كما راج اختلاق الفضائل لصالح المنحرفين من الصحابة، وطرحت نظرية عدالة جميع من صحب رسول الله صلى الله عليه وآله أو رآه أو ولد في عهده، بينما منعوا - من جانب آخر - من نشر فضائل أهل البيت عليهم السلام.

وكان للحكّام دور كبير في تشجيع هذا الانحراف المتمثّل في اختلاق النصوص وقد وصف الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام ذلك قائلاً: "إنّ مخالفينا وضعوا اخباراً في فضائلنا وجعلوها على ثلاثة اقسام: احدها: الغلو. وثانيها: التقصير في امرنا. وثالثها: التصريح بمثالب اعدائنا"(٦).

وانتشرت ظاهرة الإفتاء بالرأي، وراج القياس في الاحكام والتفسير بالرأي لآيات القرآن المجيد، كما انتشرت أفكار التصوّف والاعتزال عن الحياة، وفصل الدين عن السياسة.

واشغل الحكام كثيراً من الناس بالجدل في المسائل العقلية التي لا فائدة فيها، وشجّعوا على إقامة مجالس المناظرة والجدل العقيم في ذات الله تعالى وفي الملائكة، وفي قدم القرآن أو حدوثه.

وأتّبع أبناء عبد الملك الوليد وسليمان سيرة ابيهم، والتزموا بوصيته في قتل الرافضين للبيعة، والتي جاء فيها: ادع الناس إلى البيعة، فمن قال برأسه هكذا فقل بسيفك هكذا[٧].

وأقرّ كثير من الفقهاء سياسة الحكّام الامويين خوفاً أو طمعاً أو استسلاماً للأمر الواقع، فقد اقرّوا ما ابتدعوا من ممارسات في توليه الحكم كالعهد إلى اثنين أو اكثر، فقد عهد سليمان بالحكم إلى عمر بن عبد العزيز ومن بعده ليزيد بن عبد الملك، فأقرّ كثير من الفقهاء ذلك، حتى أصبحت نظرية من نظريات تولي الحكم[٨].

وحينما تولّى عمر بن عبد العزيز الحكم حدث انفراج نسبي في السياسة الاموية، وقام ببعض الإصلاحات ومنح الحرية النسبية للمعارضين، والغى بدعة سبّ امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام وردّ إلى اهل البيت عليهم السلام بعض حقوقهم، واعترف بالممارسات الخاطئة لأسلافه من الحكام، حتى امتدحها الامام الباقر عليه السلام على ذلك[٩] ولكن حكمه لم يدم طويلاً؛ اذ عاد الوضع إلى ما كان عليه.

واتصفت هذه المرحلة بسرعة تبدّل الحكام، فقد حكم سليمان ثلاث سنين، وحكم عمر بن عبد العزيز ثلاث سنين أو اقل، وحكم يزيد بن عبد الملك اربع سنين، وكان كل حاكم ينشغل بالإجهاز على ولاة من سبقه، وكثرت الاختلافات في داخل البيت الاموي تنافساً على الحكم، كما كثرت دنياكم واخربتم آخرتكن، فأنتم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب[١٠].

٦- الانحراف في الميدان الاقتصادي:

لقد كان سليمان يسابق بين المغنيين ويمنح السابقين الجوائز الثمينة[١١]، ويجزل العطاء للمغنيات. كما ازداد عدد المخنثين في عهده[١٢].

واقبل يزيد بن عبد الملك على شرب الخمر واللهو[١٣]، ولم يتب من الشراب الا اسبوعاً حتى عاد إليه بتأثير من جاريته حبّابة[١٤].

وكان يقول: ما يقرّ عيني ما أوتيت من امر الخلافة حتى اشتري سلامة وحبّابة فأرسل من يشتريهما له[١٥].

وهكذا وصل الانحراف إلى ذروته، حينما اصبح اللهو والمجون من أولى هموم حكام

الدولة.

وليس غريباً ان تنحرف الامة بانحراف حكامها وولاتها وأجهزة الدولة، وبهذا الانحراف كانت تبتعد الأغلبية من الناس عن الأهداف الكبرى التي حددها المنهج الإسلامي، ولا تكترث بالأحداث والمخاطر المحيطة بالوجود الإسلامي.

لقد تصرف الحكام بالأموال العامة وكأنها ملك شخصي لهم، فكانوا ينفقونها حسب رغباتهم واهوائهم، على ملذاتهم وشهواتهم وكان للجواري والمغنيين نصيب كبير في بيت المال، كما كانوا ينفقون الأموال لشراء الذمم والضمائر، ويمنحونها لمن يشترك في تثبيت سلطانهم أو مدحهم والثناء عليهم، فقد مدح النابغة الشيباني يزيد بن عبد الملك فأمر له بمائة ناقة، وكساه واجزل صلته(١٦).

فتنافس الشعراء فيما بينهم للحصول على مزيد من الأموال كما تنافس المغنون لنيل الهدايا من الحكام أو ولاتهم.

وكان الحكام يعيشون في اعلى مراتب الترف والبذخ، ويبذرون أموال المسلمين على لهوهم وشهواتهم، وعلى المقربين لهم، في وقت كان كثير من الناس يعيشون حياة الفقر والجوع والحرمان.

وازداد التمييز الطبقي حينما عطل مبدأ التكافل الاجتماعي، ولم تكترث الدولة بمعاناة الناس وهمومهم ولم تتدخل في الحث على الانفاق.

وقد ضاعف الحكام من الضرائب، فأضافوا ضرائب جديدة على الصناعات والحرف وخصوصاً في عهد هشام بن عبد الملك، الذي كان ينفق ما تجمع لديه على الشعراء المادحين له(١٧).

وقد وصف سليمان بن عبد الملك حالات الترف والمجون التي وصلوا اليها قائلاً: قد اكلنا الطيب، ولبسنا اللين، وركبنا الفاره، ولم يبق لي لذة الا صديق اطرح معه فيما بيني وبينه مؤنة التحفظ(١٨).

وهكذا انساق الناس - وخصوصاً - اتباع الامويين وراء شهواتهم ورغباتهم، وانشغل الكثير في السعي للحصول على الأموال بأي وجه امكن.

خطوات السيناريو السياسي للإمام الباقر عليه السلام:

على الرغم من انحراف الحكام واجهزتهم الإدارية والسياسية عن المبادئ الثابتة التي ارسى دعائمها القرآن الكريم والسنة النبوية؛ الا ان القاعدة الفكرية والتشريعية للدولة بقيت متبنّاةً من قبل الحاكم واجهزته في مظاهرها العامة، وعلى ضوء ذلك فإن دور الامام عليه السلام كان دوراً اصلاحياً لإعادة الحاكم واجهزته وإعادة الامة إلى الاستقامة في العقيدة والشريعة، وجعل الإسلام بمفاهيمه وقيمه هو الحاكم على الأفكار والعواطف والمواقف.

وكان أسلوب الامام عليه السلام الإصلاحي متفاوتاً تبعاً لتفاوت الظروف التي كانت تحيط به، وبالحكم القائم، وبالأمة المسلمة.

لقد كان الامام عليه السلام مقصد العلماء من كل بلاد العالم الإسلامي. وما زار المدينة احد الا عرّج على بيته يأخذ من فضائله وعلومه، وكان يقصده كبار رجالات الفقه الإسلامي: كسفيان الثوري، وسفيان بن عيينة، وأبي حنيفة.

وكان دوره عليه السلام في الإصلاح يتركز على اتجاهين متزامنين:

الاتجاه الأول: التحرك في أوساط الامة وعموم الناس، بما فيهم المسلمون وأصحاب الديانات الأخرى، فضلاً عن التحرك على الحكام واجهزتهم لإعادتهم إلى خط الاستقامة أو الحد من انحرافاتهم

١ـ ادانة فقهاء السلطة

جاء قتادة بن دعامة البصري إلى الامام عليه السلام وقد هيّأ له أربعين مسألة ليمتحنه بها، فقال له عليه السلام: انت فقيه اهل البصرة؟ قال قتادة: نعم، فقال عليه السلام: "ويحك يا قتادة أن الله عزّ وجل خلق خلقاً، فجعلهم حججاً على خلقه، فهم اوتاد في ارضه، قوّام بأمره، نجباء في علمه اصطفاهم قبل خلقه"، فسكت قتادة طويلاً، ثم قال: اصلحك الله، والله لقد جلست بين يدي الفقهاء، وقدّام ابن عباس، فما اضطرب قلبي قدّام احد منهم ما اضطرب قدّامك[١٩].

وأدان الامام الباقر عليه السلام أبا حنيفة لقوله بالقياس، وعلق الأستاذ محمد أبو زهرة على هذه الإدانة قائلاً: تتبين امامة الباقر للعلماء، يحاسبهم على ما يبدو منهم، وكأنه الرئيس يحاكم مرؤوسيه ليحملهم على الجادة، وهم يقبلون طائعين تلك الرئاسة[٢٠].

٢ـ الدعوة إلى اخذ الفكر من مصادره النقية

لقد حذّر الامام عليه السلام الناس من الوقوع في شراك الأفكار والآراء والعقائد المنحرفة، وحذر من البدع وجعلها احد مصاديق الشرك فقال: "أدنى الشرك ان يبتدع الرجل رأياً فيُحَبّ عليه ويبغَض"(٢١).

كما حذّر من الإفتاء بالرأي فقال: "من أفتى الناس بغير علم ولا هوى من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، ولحقه وزر من عمل بفتياه"(٢٢).

٣ـ الدعوة إلى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحرران الانسان والمجتمع من الوان الانحراف في الفكر والعاطفة والسلوك، ويحولان المفاهيم والقيم الإسلامية الثابتة إلى ممارسات سلوكية واضحة المعالم، تترجم فيها الآراء والنصوص إلى مشاعر وعواطف واعمال وحركات وعلاقات متجسدة في الواقع لكي تكون الامة والدولة بمستوى المسؤولية في الحياة، والمسؤولية هي حمل الأمانة الإلهية وخلافة الله تعالى في الأرض.

ومن هنا جاءت تأكيدات الامام عليه السلام على هذه الفريضة التي جعلها شاملة لجميع مرافق الحياة الإنسانية حيث قال: "ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر سبيل الأنبياء ومنهاج الصالحين، فريضة عظيمة بها تقام الفرائض، وتأمن المذاهب، وتحل المكاسب، وترد المظالم وتعمر الأرض، وينتصف من الأعداء ويستقيم الامر، فأنكروا بقلوبكم، والفظوا بألسنتكم، وصكوا بها جباههم، ولا تخافوا في الله لومة لائم..."(٢٣).

وحذر عليه السلام من مغبة التخلي عن المسؤولية، ومداهنة المنحرفين حكاماً كانوا ام من سائر افراد الامة فقال: "أوحى الله إلى شعيب النبي عليه السلام إني لمعذب من قومك مائة الف: أربعين الفاً من شرارهم، وستين الفاً من خيارهم، فقال: يا رب هؤلاء الأشرار، فما بال الاخيار؟

فأوحى الله عز وجل إليه: إنهم داهنوا اهل المعاصي، ولم يغضبوا لغضبي"(٢٤).

وحث عليه السلام على هذه المسؤولية وبين آثار التخلي عنها فقال: "الامر لمدرسة اهل البيت عليهم السلام وإنما تعدى ذلك إلى مجموعة من المعالم الفريدة لشيعتهم، فقال عليه السلام: "إنما شيعة علي عليه السلام الشاحبون الناحلون الذابلون، ذابلة شفاههم، خميصة بطونهم، متغيرة الوانهم، مصفرة

وجوههم، إذا جهنم الليل اتخذوا الأرض فراشاً، واستقبلوا الأرض بجباههم، كثير سجودهم، كثيرة دموعهم، كثير دعاؤهم، كثير بكاؤهم، يفرح الناس وهم محزنون"(٢٥).

٤ـ تسليط الضوء على الواقع الاموي الفاسد.

كشف الامام عليه السلام حقيقة الحكم الاموي وكيفية وصوله إلى الحكم، وما مارسه من اعمال لإدامة السيطرة على رقاب المسلمين، ووضح الجرائم التي ارتكبها سلف هؤلاء الحكام في حق اهل البيت عليهم السلام وانصارهم، فبعد ان بين ملابسات الخلافة، وكيفية الاستحواذ عليها واقصاء اهل البيت عليهم السلام عن موقعهم فيها، قال: ".. وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام فَقُتِلَتْ شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الايدي والارجل على الظنّة، وكان من يذكر بحبّنا والانقطاع الينا سُجِن أو نُهِبَ ماله، أو هُدِمَت داره، ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد إلى زمان عبيد الله بن زياد قاتل الحسين عليه السلام ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة، واخذهم بكل ظن وتهمة، حتى ان الرجل ليقال له: زنديق أو كافر، احب إليه من ان يقال: شيعة علي، وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير - ولعله يكون ورعاً صدوقاً - يحدث باحاديث عظيمة عجيبة، من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة، ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها، ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب انها حق لكثرة من قد رواها ممن لم يعرف بكذب، ولا بقلة ورع"(٢٦).

٥ـ الدعوة إلى مقاطعة الحكم القائم.

دعا عليه السلام إلى مقاطعة الحكم الجائر ونهى عن اسناده بأي شكل من اشكال المساندة وإن كانت لا تتعلق بسياستهم، فقال عليه السلام - في معرض جوابه عن العمل معهم: "ولا مدة قلم، ان احدهم لا يصيب من دنياهم شيئاً إلا اصابوا من دينه مثله"(٢٧)

ووضح اساسيات التعامل مع الحكام الجائرين والفاسقين بقوله: "لا دين لمن دان بطاعة من عصى الله"(٢٨).

وأكد عليه السلام على ان تكون العلاقة معهم علاقة التوجيه والإرشاد، والقيام بأداة مسؤولية الوعظ فقال: "من مشى إلى سلطان جائر، فأمره بتقوى الله، وخوفه ووعظه كان له مثل اجر الثقلين من الجن والانس، ومثل أعمالهم"(٢٩).

واستثنى عليه السلام المواقف التي تتخذ من اجل مصلحة الإسلام الكبرى، فجوز اسنادهم بالسلاح ان كان القتال مع اعداد الإسلام، لأنهم يدفعون بالسلاح العدو المشترك، قال عليه السلام لمن كان يحمل اليهم السلاح: "احمل اليهم، فإن الله يدفع بهم عدونا وعدوكم- يعني الروم- وبعهم، فإذا كان الحرب بيننا فلا تحملوا"(٣٠).

وقال عليه السلام في حق حكام الجور: "ان أئمة الجور واتباعهم لمعزولون عن دين الله والحق، قد ضلوا بأعمالهم التي يعملونها"(٣١).

٦ـ مواقفه المباشرة من الحكام المنحرفين:

إن دور الامام الحقيقي هو دور القدوة، ومن اهم المسؤوليات الملقاة على عاتقه اصلاح الحاكم والأمة معاً، والقضاء على الانحراف في مهده. أو الحيلولة دون التمادي فيه، وهذا الدور تختلف اساليبه وبرامجه تبعاً للعوامل والظروف السياسية المحيطة بالإمام، وتتغير المواقف تبعاً للمقومات التالية:

أ - المصلحة الإسلامية العامة.

ب - المصلحة الإسلامية الخاصة، والتي تتعلق بالحفاظ على منهج اهل البيت عليهم السلام ورفده بالعناصر النزيهة، لضمان استمرارية حركته في الامة.

ت - الظروف العامة والخاصة من حيث قوة الحاكم، وقوة القاعدة الشعبية لأهل البيت عليهم السلام.

وكانت التقية اسلوباً يتخذه الامام عليه السلام في مواقفه من الحاكم الجائر عندما لا تكون المواجهة العلنية مفيدة ومثمرة، وأوضح الامام حدودها بقوله: (التقية في كل ضرورة)(٣٢). وقال عليه السلام: (إنما جعلت التقية ليحقن بها الدماء، فإذا بلغ الدم فلا تقية)(٣٣).

وفي العهود التي سبقت عهد عمر بن عبد العزيز، كان الامام عليه السلام يتقي المواجهة مع الحاكم حفاظاً على كيان اهل البيت عليهم السلام وابعاداً لأنصاره عن حراب الحاكم واعوانه، ولم يتدخل عليه السلام في شؤون الحاكم الا في حدود ضيقة، وحينما وصل الامر إلى عمر بن عبد العزيز وتبدلت الأوضاع والظروف تقرب عمر بن عبد العزيز إلى اهل البيت عليهم السلام وفضلهم على بني امية، قائلا: افضلهم لأني سمعت... ان رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: (إنما فاطمة

شجنة[٣٤] مني يسرني ما أسرّها، ويسوؤني ما أساءها، فأنا ابتغي سرور رسول الله صلى الله عليه وآله واتقي مساءته) [٣٥].

واستثمر الامام عليه السلام هذه الحرية النسبية، فقام بدوره في اصلاح الحاكم واجهزته وارشاده وحثه على الاستقامة في التعامل مع الرعية.

وحينما بعث إليه ان يقدم عليه، لبّى عليه السلام الدعوة واجتمع معه، واخذ ينصحه ويطلب منه ان يوفق بين ممارساته وبين القيم الإسلامية في مجال التعامل، ومما جاء في نصائحه له قوله عليه السلام: "... فأتق الله، واجعل في قلبك اثنتين تنظر الذي تحبّ ان يكون معك اذا قدمت على ربِّك، فأبتغ به البدل، ولا تذهبن إلى سلعة قد بارت على من كان قبلك ترجو ان تجوز عنك، واتق الله يا عمر وافتح الأبواب وسهل الحجاب، وانصر المظلوم وردّ المظالم"[٣٦].

واستشاره عمر في بعض الأمور، وحينما أراد الرجوع إلى المدينة قال له عمر: فأوصني يا أبا جعفر، فقال عليه السلام: "أوصيك بتقوى الله واتخذ الكبير اباً، والصغير ولداً، والرجل اخاً"[٣٧].

وفي عهد هشام بن عبد الملك كان عليه السلام يتحرك تبعاً لمواقف هشام من حيث اللين والشدة، فحينما دخل هشام المسجد الحرام نظر إلى الامام عليه السلام وقد احدق الناس به، فقال: من هذا؟ فقيل له: محمد بن علي بن الحسين، فقال: هذا المفتون به اهل العراق؟! فأرسل إليه، وسأله بعض الأسئلة، فأفحمه الامام عليه السلام وظهر عليه امام اتباعه[٣٨].

ولما حمل إلى الشام واراد هشام ان ينتقص منه، نهض قائماً ثم قال: "أيها الناس اين تذهبون وأين يراد بكم؟ بنا هدى الله اوّلكم، وبنا يختم آخركم، فإن يكن لكم ملك معجّل، فإن لنا ملكاً مؤجلاً..." [٣٩].

٧ـ الحياد من الثورات العسكرية:

وقف الامام عليه السلام موقف الحياد من الثورات التي قادها الخوارج، فلم يصدر منه تأييد ولا معارضة، لكي لا يستثمر قادة الثورات أو الحكام موقف الامام عليه السلام لصالحهم، ولكي تستمر روح الثورة في النفوس.

وفي عهده عليه السلام لم تنطلق أي ثورة علوية يقودها احد اهل البيت عليهم السلام أو احد انصارهم، لأن الامام عليه السلام كان مشغولاً ببناء وتوسعة القاعدة الشعبية، لكي تنطلق فيما بعد، أي بعد اكمال العدة والعدد، وكان عليه السلام يوجه الأنظار إلى ثورة أخيه زيد التي اخبر انها ستنطلق في المستقبل القريب.

وكان يربط بين موقف زيد المستقبلي وبين موقفه عليه السلام منه فيقول: (اما عبد الله فيدي التي ابطش بها، واما عمر فبصري الذي ابصر به، واما زيد فلساني الذي انطق به(❖)...)(٤٠).

الاستنتاجات والتوصيات:

١- أن هنالك دور بارز للإمام الباقر في الحراك السياسي في فترة قيادته للامة الشيعية الاسلامية خلافا لما يعتقده البعض من ان ليس للإمام أي دور في المعترك السياسي.

٢- ان دور الامام الباقر السياسي يتصف باستخدام الوسائل السليمة القوى الناعمة.

٣- ابتعد الامام الباقر عن استخدام اقوى الصلبة في سبيل اصلاح المنظمة السياسية.

٤- لقد قاد الامام الباقر مدرسة فكرية أقر اعترف بها خصومه قبل محبيه وكان لهذه المدرسة دورا كبيرا في التنشئة السياسية الجديدة التي تهدف لبناء جيل يؤمن بالتغير نحو الافضل لإعادة الامة لمسيرتها الصحيحة.

٥- قاد الامام الباقر حملات اعلامية سياسية من خلال محاضراته وخطبته لتوعية الامة واخراجها من القالب الأموي.

٦- استخدامه للوسائل الدبلوماسية من خلال ابتعاثه لولده السيد علي لكاشان ليكون داعية لسلام وأمن وتغيير اجتماعي نحو امة تصبو لمستقبل افضل.

٧- وايمانا منه بالقوى الناعمة في التغيير فلم يستخدم الامام الباقر الوسائل العسكرية المتاحة لتغيير نظام الحكم ولم يشترك أو يساعد الثورات العسكرية ضد حكام الجور من الامويين واكتفى بالتغيير السلمي السياسي.

مصادر البحث وهوامشه

(١) المنتظم في تاريخ الأمم والملوك: ٣/٧.
(٢) المصدر السابق: ١٢/٧.
(٣) الكامل في التاريخ: ١١/٥.
(٤) المنتظم: ١٣/٧.
(٥) الكامل في التاريخ: ١٣/٥ وما بعدها.
(٦) عيون اخبار الرضا: ١/ ٣٠٤.
(٧) البداية والنهاية: ١٦١/٩.
(٨) الاحكام السلطانية: ١٣، الماوردي.
(٩) الكامل في التاريخ: ٦٢/٥.
(١٠) مروج الذهب: ١٧٧/٣.
(١١) الأغاني: ٣١٧/١.
(١٢) المصدر السابق: ٢٧٢/٤.
(١٣) مروج الذهب: ١٩٦/٣.
(١٤) الأغاني: ٢٩٥/١٥.
(١٥) المصدر السابق: ٣٤٦/٨.
(١٦) الأغاني: ١٠٩/٧.
(١٧) المصدر السابق: ٣٣٩/١.
(١٨) مروج الذهب: ٧٦/٣.
(١٩) بحار الانوار: ٣٥٧/٤٦.
(٢٠) تاريخ المذاهب الإسلامية: ٦٨٩.
(٢١) المحاسن: ٢٠٧.
(٢٢) المصدر السابق: ٢٠٥.
(٢٣) تهذيب الاحكام: ١٨٠/٦.
(٢٤) المصدر السابق: ١٨١/٦.
(٢٥) بحار الانوار: ٦٥/ ١٤٩.
(٢٦) شرح نهج البلاغة: ١١/ ٤٢، ٤٤.
(٢٧) الكافي: ١٠٧/٥.
(٢٨) بحار الانوار: ١٢٢/٢.
(٢٩) بحار الانوار: ٣٧٥/٧٢.

(٣٠) الكافي: ١١٢/٥، كتاب المعيشة، باب بيع السلاح منهم.
(٣١) المحاسن: ٩٣.
(٣٢) بحار الانوار: ٣٩٩/٧٢.
(٣٣) المصدر السابق.
(٣٤) الشجن: القرع من كل شيء.
(٣٥) بحار الانوار: ٤٦/ ٣٢٠.
(٣٦) المصدر السابق: ٧٥/ ١٨٢.
(٣٧) مختصر تاريخ دمشق: ٢٣/ ٧٧.
(٣٨) المصدر السابق: ٢٣/ ٧٩.
(٣٩) مناقب آل ابي طالب: ٤/ ٢٠٦.
(❖) عبد الله الباهر اخو الامام الباقر عليه السلام، كان من ابرز علماء المسلمين في فضله، وسمو منزلته العلمية، وقد روى عن ابيه علوماً شتى، وكتب الناس عنه ذلك. "غاية الاختصار ١٠٦".
وأما عمر بن علي بن الحسين عليه السلام فهو اخو الامام الباقر عليه السلام ايضاً كان فاضلاً جليلاً وولي صدقات النبي (") وصدقات امير المؤمنين عليه السلام وكان ورعاً سخياً، ويروى عنه، قال: يشترط على من ابتاع صدقات علي عليه السلام ان يثلم في الحائط كذا وكذا ثلمة لا يمنع من دخله ان يأكل منه.
وكذلك زيد الشهيد فإنه ثالث اخوته، وكان من اجل علماء المسلمين وقد تخصص في علوم كثيرة كعلم الفقه والحديث والتفسير وعلم الكلام وغيرها، وهو الذي تبنى حقوق المظلومين والمضطهدين، وقاد سيرتهم النضالية في ثروته الخالدة التي نشرت الوعي السياسي في المجتمع الإسلامي وساهمت مساهمة إيجابية وفعالة في الإطاحة بالحكم الاموي.
(٤٠) سفينة البحار: ٢/ ٢٧٣.